

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثامنة والثمانون

مالك بن أنس (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، إنه الإمام مالك بن أنس.

لقد كان الإمام مالك (رحمه الله) يدرك أن العلم ينقص بنقص العلماء ، فعن ابن وهب قال لي مالك العلم ينقص ولا يزيد ولم يزل العلم ينقص بعد الانبياء والكتب . ولقد اخبر بنقص العلماء من قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) . أخرجه البخاري.

وكان الإمام مالك (رحمه الله) لا يهاب أحد من الناس ، فعن إسحاق بن إبراهيم الحنيني قال كان مالك يقول والله ما دخلت على ملك من هؤلاء الملوك حتى أصل إليه إلا نزع الله هيئته من صدري .

ومن الخشية على النفس وتقدير العلم لم يكن الإمام مالك (رحمه الله) يجلس للفتوى حتى يتهيأ لذلك بالوضوء وذكر الله عز وجل ، فعن إسماعيل بن أبي أويس قال سألت خالي

مالكا عن مسألة فقال لي قر ثم توظأ ثم جلس على السرير ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله
وكان لا يفتي حتى يقولها .

ولم يكن طلب الإمام مالك للعلم ليتصدر به المجالس أو ليفتي به الناس ، بل كان
طلبه للعلم لينفع به نفسه بالعمل الصالح ، فعن ابن وهب سمعت مالكا يقول ما تعلمت
العلم إلا لنفسي وما تعلمت لاحتاج الناس إلي وكذلك كان الناس .

وقد ورد الوعيد الشديد على من طلب العلم للمباهاة وصرف وجوه الناس إليه ، فعن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ
لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ) . أخرجه ابن ماجه .

ومن منهج الإمام مالك (رحمه الله) في تلقي العلم اختيار المعلم ومعرفة حاله ، لأن
من المعلمين من لا يصلح لأخذ العلم عنه ، وقد بينهم الإمام مالك (رحمه الله) ، فعن
إبراهيم بن المنذر حدثنا معن وغيره عن مالك قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفیه يعلن
السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعه يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس
وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

وأما في شأن الصلاة فهو ينهى عن الصلاة خلف أهل البدع كالقدرية وغيرهم ، فعن
ابن وهب عن مالك وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم فقال لا أرى أن
يصلي خلفهم قيل فالجمعة قال إن الجمعة فريضة وقد يذكر عن الرجل الشيء وليس هو
عليه فقليل له أرايت إن استيقنت أو بلغني من أثق به أليس لا أصلي الجمعة خلفه قال إن
استيقنت كأنه يقول إن لم يستيقن ذلك فهو في سعة من الصلاة خلفه .

وأما ما ورد في شأن صفات الإمام مالك (رحمه الله) ، فعن عيسى بن عمر قال ما
رأيت قط بياضا ولا حمرة أحسن من وجه مالك ولا أشد بياض ثوب من مالك . ونقل غير
واحد أنه كان طويلا جسيما عظيم الهامة أشقر أبيض الرأس واللحية عظيم اللحية أصلع.
وقيل كان أزرق العين .

وقال محمد بن الضحاك الخزامي كان مالك نقي الثوب رقيقه يكثر اختلاف اللبوس .
وقال الوليد بن مسلم كان مالك يلبس البياض . وقال مصعب كان يلبس الثياب العدنية
ويتطيب .

وقال أبو عاصم ما رأيت محدثاً أحسن وجهاً من مالك .

وقال ابن وهب رايت مالكا خضب بحناء مرة وقال أبو مصعب كان مالك من أحسن الناس
وجهاً وأجلاهم عينا وأنقاهاهم بياضا وأتمهم طولاً في جودة بدن .

وقد ساق القاضي عياض من وجوه، حُسِّنَ بزة الإمام ووفور تجملته .

هذه الأخبار تفيد حسن صفات الإمام الإمام الخلقية ، واعتنائه بنظافة بدنه وملبسه
وتطيبه ، من غير سرف ولا مخيلة ، وذلك من الصفات الحميدة التي يحث عليها الإسلام
ويرغب فيها ، وربط ذلك ببعض العبادات ، كما جاء الحث على الغسل والتطيب ولبس
أحسن الثياب للجمعة والعيد ، فعن أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ
اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طَهْوَرَهُ وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ وَمَسَّ مَا
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ طَيِّبٍ أَهْلِهِ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجُمُعَةِ الْآخَرَى) . أخرجه ابن ماجه .

وفي الشباب من يكثرون الاعتناء بأبداهم وملابسهم ، وهذا أمر حسن ما لم يتجاوز
الحد إلى السرف والمخيلة ، فإن منهم من يبالغ في شراء الملابس بأعلى الأثمان ولو لم يكن
قادراً على ذلك ، وقد يصل الحد ببعضهم أن يكون اعتناؤه بملبسه ومحافظته عليه أكثر من
اعتنائه بدينه ومحافظته على سلامته ، وفي ذلك قال الشاعر :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوب جسمك محفوظ من الدنس

ترجو النجاة ولا تسلك مسالكه إن السفينة لا تجري على اليبس

بل والأعجب من ذلك أن تجد من الشباب من يسرف باعتنائه ببدنه إلى درجة التمتع
ومشاهدة النساء ، - نعوذ بالله من هذه الحال - ، ومن تشبه من الرجال بالنساء فقد حقت

عليه اللعنة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) أخرجه البخاري . وفي هذا
الصنف من الشباب يقول الشاعر :

عجبت من الفتى يبدو فتبدو عليه نعومة البيض الكعاب

تفنن في محاكاة العذارى وخالفهن في لبس النقاب

نسأل الله لشبنا السلامة من كل سوء ، والفلاح في الدنيا والآخرة .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .